مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v3i1.392

مملكة الحيرة نشأتها، تطورها السياسي، وتراثها المعماري
(دراسة تاريخية تحليلية)

الباحثان:

١- الدكتور خاقان تَمِير، الأستاذ المشارك بقسم التاريخ الإسلامي والفنون الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة توكات غازي عثمان باشا – تركيا.

البريد الالكتروني: h.temir@hotmail.com

٢- أحمد الخولاني، طالب ماجستير، معهد الدراسات العليا، جامعة توكات غازي عثمان باشا – تركيا

البريد الالكتروني: ahmedhhqq٤٨@gmail.co

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (١٧ محرم ١٤٤٨/ ١٢ السرطان ١٤٠٥)

تاريخ الإصلاح: (١٠ صفر ١٤٤٨/ ٤ الأسد ١٤٠٥)

تاريخ القبول: (١٩ صفر ١٤٤٨/ ١٣ الأسد ١٤٠٥)

تاريخ النشر: (٠٤ ربيع الثاني ١٤٤٨/ ٢٦ الميزان ١٤٠٥)

الملخص: تتناول هذه الدراسة تاريخ مملكة الحيرة بوصفها إحدى أبرز الممالك العربية في العراق قبل الإسلام، مع بيان نشأتها، وموقعها الجغرافي، ودورها السياسي، وتراثها العمراني. وتهدف إلى تحليل العوامل التي أسهمت في صعود الحيرة مركزًا حضاريًا وسياسيًا، وإبراز مكانتها في تاريخ العرب قبل الإسلام. واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تحليل الروايات التاريخية والمصادر العربية والدراسات الحديثة، مع الموازنة بين الآراء المتعلقة بأصل تسمية الحيرة وتطورها التاريخي. وتبين الدراسة أن الموقع الاستراتيجي للحيرة أسهم في ازدهارها التجاري والسياسي، وجعلها مركزًا مهمًا للدولة الساسانية التي اعتمدت على المناذرة في حماية حدودها الغربية. كما تناولت الدراسة نظام الحكم عند آل لخم، وعلاقاتهم السياسية والعسكرية مع الغساسنة، وأبرزت أهمية يوم ذي قار بوصفه حدثًا مفصليًا في تاريخ العرب قبل الإسلام. كذلك استعرضت أهم المعالم العمرانية في الحيرة، ولاسيما قصورها، بوصفها شاهدًا على تطور العمارة العربية في تلك المرحلة. وتخلص الدراسة إلى أن الحيرة لم تكن مجرد إمارة حدودية، بل كانت مركزًا سياسيًا وحضاريًا أسهم في تشكيل تاريخ العرب قبل الإسلام، ومهدت تحولاتُها السياسية والعسكرية لمرحلة جديدة انتهت باندماجها في الدولة الإسلامية، مع احتفاظها بمكانة بارزة في التراث التاريخي والعمراني العربي.

الكلمات المفتاحية: تاريخ، التراث العمراني، الحيرة، المناذرة، يوم ذي قار

The Kingdom of al-Ḥīra, Its Origins, Political Development and Architectural Heritage: A Historical and Analytical Study

ABSTRACT: This study examines the history of the Kingdom of al-Hirah as one of the most prominent Arab kingdoms in Iraq before Islam. It investigates the kingdom's origins, geographical setting, political role, and architectural heritage. The study analyzes the factors that contributed to al-Hirah's emergence as a major political and cultural center and highlights its significance in pre-Islamic Arab history. It uses a historical-analytical method by examining historical narratives, Arabic sources, and modern scholarship, while comparing different views on the origin of the name al-Hirah and its historical development. The study shows that al-Hirah's strategic location played a decisive role in its commercial and political prosperity and established it as an important center of the Sasanian Empire, which relied on the Lakhmids to defend its western frontier. It also examines the political system of the Lakhmid dynasty, their political and military relations with the Ghassanids, and the significance of the Battle of Dhi Qar as a turning point in the history of the pre-Islamic Arabs. In addition, the study explores the principal architectural monuments of al-Hirah, particularly its palaces, as evidence of the development of Arab architecture during this period. The study concludes that al-Hirah was not merely a frontier principality but a major political and cultural center that played a significant role in shaping the history of the pre-Islamic Arabs. Its political and military transformations paved the way for a new historical era that culminated in its incorporation into the Islamic state, while preserving its distinguished position within the historical and architectural heritage of the Arab world.

Keywords: Al-Hirah, Al-Manadhirah, Architectural Heritage, Battle of Dhi Qar, History.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه تسليمًا كثيرا مزيدا إلى يوم الدين، أما بعد:

تُمثّل مدينة "الحيرة" معلمًا حضاريًا وتاريخيًا بارزًا في تاريخ العرب قبل الإسلام، حيث شكّلت حلقة وصل استراتيجية بين شبه الجزيرة العربية والإمبراطوريات الكبرى المجاورة. ولم يكن التباين اللغوي والتاريخي حولها إلا انعكاسًا للتنوع الثقافي والعمق التاريخي الذي تميزت به المدينة منذ نشأتها في بداية القرن الثالث الميلادي في بادية الفرات بالقرب من الكوفة وبابل القديمة. ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة استقرائية شاملة حول هذه المملكة من خلال الأطر المنهجية المحددة في الأقسام التالية.

أهمية البحث:

تتجلى الأهمية السياسية والحضارية للحيرة في كونها كانت محط أنظار الدولة الساسانية التي سعت لاستغلال موقعها الجغرافي المتميز عبر وضع السلالات العربية الحاكمة من "آل لخم" (المناذرة) تحت حمايتها ليؤدوا دورًا سياسيًا وعسكريًا محوريًا. وتبرز أهمية دراسة هذا الكيان في تتبع المنعطفات التاريخية الكبرى، وفي مقدمتها "يوم ذي قار" الذي أسفر عن أول انتصار عسكري حاسم للعرب على العجم، فضلًا عن رصد النهضة العمرانية الرفيعة التي تمثلت في تشييد حصون وقصور منيفة كقصر الخورنق وقصور السدير والأبيض والطين والعدسيين، وهي شواهد مادية تعكس رقي الهندسة المعمارية في تلك الحقبة.

مشكلة البحث:

تنطلق مشكلة البحث من التساؤلات والجدل العلمي الذي أثارته هذه المدينة بين المؤرخين والمستشرقين على حد سواء، بدءًا من أصل تسميتها التي تراوحت الآراء فيها بين الروايات العربية المأثورة التي تربطها بالحيرة والتردد، وبين الأصول السريانية واليهودية (التلمودية) التي تدل على معنى المعسكر. وتتجسد الإشكالية في تحليل طبيعة الصراعات والحروب الدموية الطويلة التي خاضها ملوك الحيرة النصارى النساطرة كدرع لحلفائهم الفرس في مواجهة الغساسنة حلفاء البيزنطيين، وكيفية صمود خطوط دفاعها الأخيرة حتى فتحها المسلمون صلحًا بقيادة خالد بن الوليد.

أسئلة البحث:

بناءً على مشكلة البحث، يمكن صياغة الأسئلة الجزئية التالية:

١. ما أصل تسمية الحيرة في ضوء التباين بين المرويات العربية والمدونات السريانية واليهودية؟

٢. كيف أثر الموقع الجغرافي والطقس العذب وطبيعتها الغناء في تحويلها إلى مركز حيوي للقوافل ومحط أنظار الساسانيين

٣.ما طبيعة الدور السياسي والعسكري الذي لعبه آل لخم في صراع القوى العظمى (الفرس والروم)؟

٤. ما هي مظاهر النهضة العمرانية المتمثلة في قصور الحيرة، وكيف انتهى مطافها بالصلح مع المسلمين؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث بشكل رئيسي إلى استقراء الجوانب التاريخية، والسياسية، والعمرانية لتسليط الضوء على الإرث الحضاري المتميز لمملكة الحيرة، وبيان أثرها الممتد في الوجدان الأدبي والسياسي العربي، فضلاً عن تقديم رؤية متكاملة توازن نقدياً بين الروايات المتعددة.

الدراسات السابقة:

كما حظيت مملكة الحيرة باهتمام عدد من الباحثين الغربيين المعاصرين، إذ تناول Robert Hoyland مكانة الحيرة في تاريخ العرب قبل الإسلام، ودرس Greg Fisher و Philip Woodالدور السياسي للمناذرة ضمن السياسة الساسانية، كما عالج Touraj Daryaee سياسة الدولة الساسانية في إدارة حدودها الغربية، في حين ركز Irfan Shahîd على العلاقات البيزنطية العربية ودور الغساسنة في الصراع الإقليمي. غير أن هذه الدراسات غالبًا ما تناولت جوانب متفرقة، بينما تسعى هذه الدراسة إلى الجمع بين النشأة والتطور السياسي والتراث المعماري في إطار تحليلي واحد.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي القائم على تتبع أنساب ملوك الحيرة، وأصولهم اليمانية، وتحولاتهم السياسية وعقيدتهم النصرانية النسطورية. كما يستعين بـ المنهج المقارن الموازن للاستقراء نقدياً بين الروايات اللغوية المتعددة لأصل الاسم، مستنداً إلى توثيق دقيق للمصادر والمراجع العربية الكلاسيكية والمدونات المعاصرة لضمان تقديم رؤية علمية شاملة.

محتويات البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث متكاملة، وخاتمة تفصيلها كالآتي:

المبحث الأول: مفهوم التبيين وحقيقته (تأصيل اسم الحيرة ونشأتها وموقعها).

المبحث الثاني: التطور السياسية والعسكرية لمملكة الحيرة (ملوكها، صراع المناذرة والغساسنة، ويوم ذي قار).

المبحث الثالث: التراث المعماري لمملكة الحيرة والفتح الإسلامي (القصور وحصون الدفاع، وعقد الصلح).

الخاتمة: وتتضمن خلاصة النتائج العلمية للدراسة وثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تأصيل اسم الحيرة ونشأتها وموقعها الجغرافي:

المطلب الأول: الآراء اللغوية والتاريخية في اسم الحيرة:

وردت الكثير من الروايات التاريخية حول اسم الحيرة ، فمنهم من روى ان الحيرة سميت بذلك لان الملك "تبعا الاكبر" لما توجه الى خراسان ترك ضعفاء جنده في ذلك الموضع و قال لهم حيروا به اي اقيموا به، بينما ورد عن الزجاجي ان اول من نزل بها مالك بن زهير بن عمروا بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافة بن قضاعة، فلما نزل فيها جعلها حيراً واقطعه قومه فسميت بذلك الحيرة، وذُكر في بعض اخبار السير ان اردشير ذهب الى الاردوان ملك النبط حين شاغبه ملك من ملوك النبط يسمي بابا فستعان كل منهما بحلفائهم من العرب للقتال، فبنى الاردوان حيرا فانزل حلفائه الذين ساعدوه من العرب فسمي ذلك الحير او الحيرة، وتسمى ايضاً القيعة من القاع ، واسكن البابا من اعانه من اعراب الانبار وخندق عليهم خندقاً، وقام بخت نصر بجمع العرب الذين كانوا في بلاده بها فسميت النبط انبار العرب وتسمى ايضاً انبار الطعام، وفي رواية اخرى ان" الملك تبعا " لما اتى بجيشه فوصل الى الحيرة ضل طريقه وتحير فسميت الحيرة بذلك[١].

وكذلك يرى اكثر المستشرقين انها كلمة من كلمات بني ارم، وانها تسمي حرتا "He'rta" "Hirta" "Harta حيرتا او حيرتو ذات اصل سيرياني، ويدل معناها المخيم والمعسكر وتقابلها بالعبرانية كلمة "حاصير" "Haser" ، وذكرت الحيرة في مؤلفات بعض المؤرخين السريان، بأسماء عديدة كالحيرة مدينة العرب، وحيرتا دي طياية، واشتهرت الحيرة بأسماء ملوكها مثل النعمان، فورد"حيرتو د نعمان دبيث بورسويي"، وحيرة النعمان في التي في بلاد الفرس. وان تعبير "حيرة النعمان" "حيرتا دي نعمان"، من التعابير الشائعة عند العرب، ولابد أن يكون لاشتهار "الحيرة" باسم "النعمان" سبب حمل الناس على نسبة هذه المدينة إليه. وذكر البعض من علماء التلمود ان مدينة "حواطره" "حوطرا" التي ورد ذكرها في التلمود، هي الحيرة ذاتها، التي شيدها برعدي بن عدي. وحدث تحريف في الاسم، والتلمود بدليله يذكر انها لاتبعد عن "نهر دعه" "Nehardea"، كثيراً، وان مؤسسها الفعلي برعدي يعني عمرو بن عدي. و يظن ان مكان "حرتت دارجيز" "حارتا دار جيز" "حرته دار جيز"، المذكورة في التلمود هي "الحميرة". وقد ورد في بعض الروايات ان "ارحيز" هو الساحر الذي قام ببناء تلك المدينة، ويرى بعض المؤرخون و الباحثون هناك احتمال في وجود صلة بين هذا الساحر و بين قصة "سنمار" باني قصر الخورنق[٢].

١– شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١٩٩٥، معجم البلدان، ط: ٢، بيروت: دار صادر، ٢: ٣٢٩.

٢– جواد علي، ٢٠٠٢، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط: ٤، (د.م): دار الساقي، ٥: ١٥٥–١٥٦.

المطلب الثاني: نشأة مدينة الحيرة وموقعها الاستراتيجي:

نشأت مدينة الحيرة في بداية القرن الثالث الميلادي ، في البادية المحاذية للفرات في منطقة الكوفة واصبحت دولة عربية بارزة عرفت بمملكة الحيرة[١]. وما موقعها فتقع بالقرب من مدينة بابل القديمة ، على بعد ثلاث اميال الى الجنوب من مدينة الكوفة، في طريق نهايته تجتاز شبه الجزيرة العربية، وبموقعها الجغرافي غدت مركزاً هاماً للقوافل، ولم يهمل الساسانين هذا الموقع المهم، فقاموا بوضع السلالات العربية الحاكمة للحيرة تحت حمايتهم[٢]. ويرى Touraj Daryaee أن اعتماد الساسانيين على المناذرة كان جزءًا من سياسة حماية الحدود الغربية للإمبراطورية، وليس مجرد تحالف قبلي[٣]. و الحيرة على النجف، وكانت النجف على ساحل بحر الملح، وكان في الماضي يبلغ الحيرة، وهي منازل آل بقيلة وغيرهم[٤].

المطلب الثالث: مناخ الحيرة وطبيعتها الجغرافية:

تميزت الحيرة بموقعها المهم، فكانت من اطيب البلدان، وذات هواء نقي، وماءً عذب ، وتميزت بصفاء جوها، وكانت تتصل بالمزارع و والبساتين، و المتاجر العظام لان موقعها من ظهر البرية الى مرفأ سفن البحر من الهند والصين[٥].

المبحث الثاني: التطور السياسية والعسكرية لمملكة الحيرة والفتح الإسلامي:

المطلب الأول: ملوك الحيرة (آل لخم) وأصلهم وديانتهم:

اشتهر ملوك الحيرة بـ "آل لخم" وبـ "آل نصر"، كما عرفوا بـ "النعامنة" وبـ "المناذرة"، بسبب شيوع اسم النعمان و اسم المنذر فيما بينهم . وذكروا ايضا بـ "آل محرق"[٦]. ويعد مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد اول من ملك الحيرة، وحكم العرب في العراق عشرين سنة، وخلفه تبع ابو كرب في غزوته الثانية مع من تخلف معه من اصحابه في نحو اثني عشر الفاً. في موضع تحيروا فيه فسمي الحيرة وهو من قولهم تحير الماء. فمالك اول من ملك الحيرة، وكان ملوك يملكون مابين الحيرة والانبار. وتسلم الحكم بعده ابنه جذيمة بن مالك وهو الابرش و الوضاح فكنت مدة حكمه

١- محمد إبراهيم الفيومي، ١٩٩٤، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط: ٤، (د.م): دار الفكر العربي، ص: ١٤٢.

٢- محمد بيومي مهران، (د.ت)، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط: ٢، (د.م): دار المعرفة الجامعية، ص: ٥١٩.

٣- Touraj Daryaee, *Sasanian Persia: The Rise and Fall of an Empire* (London: I.B. Tauris, ٢٠٠٩), p. ٤, ١٧, ٣٣.

٤- أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، ٢٠٠١، البلدان، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: ١٤٦.

٥- عبد القادر بن عمر البغدادي، ١٩٩٧، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢: ٤٥٠–٤٥١.

٦- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥: ١٥٩.

ستين سنة. ثم ملك بعده ابن اخته عمرو بن عدي بن نر ابن ربيعة اللخمي، وقيل فيه شب عمرو عن الطوق ثم تلاه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي، ويقال ان الحارث بن عمرو هو الذي كان يعرف بمحرقاً، و النعمان ابن امرؤ القيس هو النعمان الاكبر الذي امر ببناء الخورنق، ثم ملك بعده المنذر بن امرؤ القيس وهو المنذر بن ماء السماء شقيق النعمان الاكبر ثم المنذر بن المنذر وهو الأصغر، ثم اخوه عمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند وسمي محرقا ايضاً. وقيل: ان سبب تسميته بمحرقا لانه قام بحرق بني تميم وفي رواية اخرى انه حرق نخل اليمامة ، ثم اخر ملوك الحيرة النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة وهو من اللخميين[١]. وكان هؤلاء الملوك موالين وتابعين لملوك الدولة الساسانية في بلاد فارس، واصل اهل الحيرة وملوكهم من عرب اليمن وعرف ملوكهم بالمناذرة واللخميين، اما ديانتهم فكان اهلها نصارى على المذهب النسطوري[٢].

المطلب الثاني: علاقة المناذرة بالغساسنة:

نشأت امارتان من العرب هما امارة المناذرة في الحيرة في جنوب العراق وكانت خاضعة للملوك الساسانيين الذين كانوا يحكمون العراق والفرس، اما امارة الغساسنة في جهات حوران جنوب سوريا، وكانت هذه الامارة خاضعة للدولة البيزنطية الحاكمة على سوريا. كانت هذه الامارتين يمثلاً درعاً للدولة الخاضعة لها ضد هجمات الدولة الاخرة المعادية، وضد هجوم بدو الصحراء على اراضيهم، فحدثة حروب كثيرة بين الامارتين بسبب التبعية للدول الاجنبية، وسفكت فيها دماء عربية كثيرة من اجل ارضاء الدول المسيطرة عليهم من الروم والفرس الساسانيين. وانتهت هذه الامارتان عندما اجتاحت الجيوش الاسلامية ارضيهما فندمجتا تحت الخلافة الاسلامية فاصبحوا كيان عربي اسلامي واحد بعد هذه الحروب الطويلة[٣]. وتذهب الدراسات الحديثة إلى أن العلاقة بين المناذرة والغساسنة لا يمكن تفسيرها بوصفها مجرد صراع قبلي، بل كانت انعكاسًا للتنافس الساساني البيزنطي على المناطق الحدودية، مع احتفاظ كل إمارة بهامش من الاستقلال السياسي[٤]. وقد أكدت الدراسات الحديثة أن المناذرة والغساسنة لم يكونا مجرد تجمعين قبليين متنافسين، بل مثّلا جزءًا من النظام الدفاعي لكلٍّ من الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، إذ أُنيط بهما تأمين المناطق الحدودية والتصدي للغارات القادمة من البادية، مع احتفاظ كل إمارة بقدر من الاستقلال في إدارة شؤونها الداخلية. وقد أسهم

١– عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٢: ٤٥٠–٤٥١.

٢– الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ص: ١٤٢.

٣– توفيق برو، ٢٠٠١، تاريخ العرب القديم، ط: ٢، بيروت: دار الفكر، ص: ١٢٣.

٤– Greg Fisher and Philip Wood, "Writing the History of the 'Persian Arabs': The Pre-Islamic Perspective on the Naṣrids of al-Ḥīrah," *Iranian Studies* ٤٩, no. ٢ (٢٠١٦): ٢٥٥–٢٦٠.

هذا الوضع في جعل الصراع بينهما امتدادًا للتنافس السياسي والعسكري بين القوتين الإقليميتين، أكثر من كونه نزاعًا قبليًا مستقلًا[١].

المطلب الثالث: يوم ذي قار (الأسباب والنتائج الاستراتيجية):

هي معركة حدثت بين قبيلة ربيعة العربية و جيش كسرى ابرويز الفارسي، في ذي قار، وكان يذكر بأسماء عديدة وهو يوم قراقر ويوم الحنو حنو ذي قار، ويوم حنو قراقر، ويوم الجبابات، ويوم ذي العجرم، ويوم الغذوان، ويوم البطحاء، بطحاء ذي قار، وكلهن حول ذي قار. وفي رواية ابي عبيدة بن معمر بن المثنى وعدة علماء عرب، ذكروا ان السبب الرئيسي الذي ادى الى اندلاع معركة ذي قار، الى حادثة اغتيال النعمان بن المنذر اللخمي لعدي بن زيد العبادي، الذي كان احد تراجمة ابرويز كسرى بن هرمز[٢]. فاراد زيد بن عدي الاخذ بثأر ابيه فقام بعمل حيلة لقتل النعمان وكان عدي عند كسرى، فوصف لأبرويز نساء آل المنذر، فارسل ابرويز كتاباً بيد زيد بن عدي الى النعمان يأمره ان يرسل اليه اخته او ابنته ليتزوجها، وكانت الفرس لا تتعرض لنساء العرب، فلما قرأ الكتاب قال النعمان أما كان لأبرويز في مها السواد كفاية حتى تخطى إلى كرائم العرب. فقال له زيد: انما اراد كسرى اكرامك يا ايها الملك ورفع منزلتك بمصاهرته، ولو عرف ان ذلك يشق عليك ما فعل. فرد النعمان قائلاً: قد علمت ما على العرب من العار والشناعة بتزويج الاعاجم. فقال زيد: طب نفساً ايها الملك سأصرفه عن ذلك. فلما رجع زيد الى ابرويز ذكر ما قال النعمان وقال: فأين ابرويز عن بقر السواد، فقام زيد بتحريف كلام النعمان وزاد عليه وقال زيد: رب عبد صار من الطغيان الى اكثر من هذا. فبعث كسرى يطلب النعمان، فذهب باموله واثقاله واهله الى البادية، عند اصهاره من طيئ فلم يحموه، فانتقل الى بني رواحة فأجاروه. فمل من التنقل بين الديار في البادية، فاشارت عليه زوجته أن يقصد باب كسرى مستجيراً به. فلما بلغ كسرى جعل ثمانية الاف جارية عليهن الحلي والحلل صفين، فلما وصل النعمان وصار بينهن قُلن جمياً: اما فينا للملك غناء عن بقر السواد. ففهم النعمان ان امره انتهى. ولما التقى النعمان بزيد قال النعمان: هذا الامر من فعلك وحيلتك ولئن نجيت لجعلنك تلحق بأبيك، فأجابه زيد قائلاً: بمكر ودهاء امضِ يانعمان فقد ابرمت لك امراً محكماً، لاتستطيع النجاة منه. فقام كسرى بحبسه بساباط في المدائن، وانتهى امره تحت اقدام الفيلة فسحقته حتى مات، وفي رواية اخرى امر كسرى بحبسه بخانقين فنتشر هناك الطاعون فمات، وان الرواية الاولى اصح[٣]. بعد مقتل النعمان ولى كسرى إياس بن قبيصة بن ابي عفر بن النعمان بن جنة ملكاً على الحيرة، برقابة فارسية متمثلة بالهمرجان من مرازبة فارس تسع

١- Irfan Shahîd, *Byzantium and the Arabs in the Fifth Century,* Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, ١٩٨٩.

٢– أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ١٩٦٧، تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ٢، مصر: دار المعارف، ٢: ١٩٣.

٣– شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات، كامل الخراط، وعمار ريحاوي، سوريا – دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢: ٤٧٦–٤٧٧.

سنين، وفي السنة الثامنة كانت البعثة تم تولية احد مرازبة الفرس بعد الهمرجان الذي يطلق عليه زاذويه بن ماهان الهمذاني وبقى في الحيرة سبع عشرة سنة حتى حكمت بوران بنت كسرى.

وبعد تولي إياس قام كسرى بأرساله الى هانئ بن مسعود في حلقة النعمان، وفي رواية ان امانة النعمان كانت اربعمائة درع وقيل ثمانمائة، فحجبها هانئ فغضب كسرى واراد القضاء على بكر بن وائل، فقام النعمان بن زرعة من بني تغلب بطرح رأيه على كسرى بأن يمهل الى فصل القيظ عند ورودهم مياه ذي قار، ونزلوا الى تلك المياه وجاءهم النعمان بن زرعة يخيرهم بين الحرب او الخضوع واعطاء امانة النعمان فاختاروا الحرب[١]. فعبر كسرى الفرات و دعا اياس بن قبيصة الطائي، وكان قد اقطعه ثمانين قرية على شط الفرات، فأراد مشورته ما ترى قال ان اطعتني فلا يعلم احد لأي شيء خرجت. وقطعت الفرات، فيظنون ان امر من امور العرب اقلقك، لكن ارجع وارسل عيون تترصد غفلتهم وتحركاتهم، ثم ارسل قبيلة من العجم فيها من بعض القبائل التي تقضي على اعدائهم فيوقعون بهم، فقال له كسرى قد بلغني أنهم أخوالك وأنت لا تألوهم نصحاً. فاجابه اياس رأي الملك افضل، فأرسل كسرى الهرمزان فِي ألفين من خيول الأعاجم، وبعث ألفا من إياد، وألفاً من بهزى عليهم خالد البهزاني، فلما بلغ بكر بن وائل خبر القوم أرسلوا الى قيس بن مسعود بن هانئ بن مسعود، فقدم ليلا، فأتى مكانا خفياً من بطن ذي قار فنزله، وأرسل الى هانئ فقال: انه قد حضر من الأمر ما ترى. فرد عليه أرسل إلي الحلقة وهي عشرة آلاف سكة، وانثرها فِي بني شيبان. فأجابه هانئ إنها أمانة فقال قيس إنكم إن هلكتم فسيأخذون الحلقة وغيرها، وإن ظهرتم فما أقدرك على أن تأخذها من قومك فأخرجها فنثرها، وأمرهم فنزلوا من بطن ذي قار بين الجهتين[٢]. فروى عن هانئ بن مسعود انه قال: "يا قوم مهلك مقدور، خير من منجى مغرور، إنّ الجزع لا يردّ القدر، وإنّ الصبر من أسباب الظفر. المنيّة خير من الدّنية، واستقبال الموت خير من استدباره، فالجدّ الجدّ، فما من الموت بدّ".

فعقد كسرى للنعمان بن زرعة القيادة على تغلب والنمر، وعقد القيادة لخالد بن يزيد البهراني على قضاعة وإياد، وعقد لإياس بن قبيصة قيادة جميع العرب، ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر، وعقد للهامرز التستري وكان على مسلحة كسرى بالسواد على ألف من الأساورة، وكتب إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدّين وكان عامله على الطّفّ طفّ سفوان وأمره أن يوافي إياس بن قبيصة، ففعل. فسار إياس مع جنده من قبيلة طيء، ومعه القادة كالقائد الفارسي الهامرز والنعمان وخالد وقيس كل واحد على قومه فلما اقتربوا من بكر ذهب قيس الى قومه ليلاً، فتكلم مع هانئ واشار عليهم كيف يصنعون، وامرهم بالصبر ثم رجع الى جنده. فكان ورؤساء بني بكر يومئذ ثلاثة نفر هم هانيء بن مسعود، ويزيد بن مسهر الشيباني، وحنظلة بن ثعلبة العجلي. ثم تقارب الجيشين فقام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي فصاح

١– عبد الرحمن بن خلدون، ١٩٨١، تاريخ ابن خلدون، بيروت: دار الفكر، ٢: ٣٢١.

٢– جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ١٩٩٢، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢: ٣٣٥–٣٣٦.

يامعشر بكر ان النشاب او الرماة تفرقكم وتعيق تقدمكم فعجلوا لقائهم وابدءوهم بالشدة والحزم. ثم بدأ حنظلة بن ثعلبة بقطع وضن النساء فسقطن إلى الأرض وقال: ليقاتل كل رجل عن زوجته واهل بيته. فسمي مقطع الضن. وفي رواية قيل قطع يومئذ سبعمائة رجل من بني شيبان ايدي اقبيتهم من مناكبها لتكون ايديهم خفيفة لضرب السيوف، فكان على ميمنتهم بكر يزيد بن مسهر الشيباني، وعلى ميسرتهم حنظلة بن ثعلبة العجلي و هانئ بن مسعود، ويقال ابن مسعود في قلب الجيش، فبدأت بالمبارزة بين يزيد بن حارثة اليشكري و الهامرز فتمكن يزيد من قتل الهامرز احد قادة الفرس المشهورين، ثم قتل يزيد بعد ذلك. وهزم الفرس وانتصر العرب. وهرب إياس بن قبيصة على فرسه الحمامة من المعركة ذاهباً الى كسرى فسأله عن الجيش فقال انتصرنا وهزمنا بكر بن وائل واتيناك بنسائهم ففرح كسرى وامر له بكسوة، ثم استأذنه اياس فقال اخي قيس بن قبيصة مريض بعين التمر، فأريد ان اذهب اليه فأذن له. وكان كسرى لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه، ثم جاء رجل من اهل الحيرة وهو بالخورنق، وسأل من دخل على الملك فقالوا إياس فظن ان اياس اخبره بالهزيمة فدخل عليه واخبره بهزيمة جيش الفرس وقتل قادتهم كالهامرز وغيره من القادة الكبار ، فأمر كسرى بنزع كتفاه[١]. وان النبي محمد صلى الله عليه وسلم ذكر يوم ذي قار قائلاً: "اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا"[٢].

ويرى عدد من الباحثين المعاصرين أن يوم ذي قار ينبغي أن يُفهم في سياق الصراع الساساني—البيزنطي، أكثر من كونه حدثًا يمكن تفسيره بمفاهيم القومية الحديثة[٣].

المطلب الرابع: فتح الحيرة وعقد الصلح مع خالد بن الوليد:

تقدم خالد بجيشه الى الحيرة فتحصن اهلها في القصر الأبيض وقصر ابن بقيلة قصر العدسيين فأجلنا الخيل في عرصاتهم ثم صالحونا، وقد ذكر أن خريم ابن أوس بْن حارثة بْن لام الطائي قال للنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن

١– أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم ابن عبد ربه الأندلسي، ١٩٨٣، العقد الفريد، بيروت: دار الكتب العلمية، ٦: ١١٢—١١٣.

٢– أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ١٩٩٣، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ص: ٨٧.

يُعد هذا الحديث المروي في شأن يوم ذي قار والذي ينسب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم قوله : "اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ". وهو من رواية بشير بن يزيد الضبعي، تضاربت اقوال اهل الجرح والتعديل، فقد نسبه ابن ابي حاتم الى الصحابة، اما ابن حبان فقد اجعله من التابعين، وانه شيخ قديم ادرك الجاهلية ويروي المراسيل، اما ابن حجر العسقلاني فقد قال: " وليس في شيء من طرق حديثه له سماع والله اعلم ". يُنظر: ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر العسقلاني، ١٩٩٤، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي بن محمد معوض، بيروت: الكتب العلمية، ١/٤٤٦ – ٤٤٧.

٣- Greg Fisher (ed.) Oxford: Oxford University Press, *Arabs and Empires before Islam,* ٢٠١٥, *p.* ٤٦٤.

فتح اللَّه عليك الحيرة فأعطني ابنة بقيلة، وعندما اراد خالد الصلح مع اهل الحيرة، فقال له خريم: ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم جعل لي بنتي بقيلة فلا تدخلهما في صلحك وشهد له بشير بن سعد، ومحمد بن مسلمة الانصاريان فاستثناها في الصلح ودفعا الى خريم فاشتريت منه بألف درهم، وكانت عجوزاً. وفي رواية اخرى ان الذي جاء في الحديث هو رجل من ربيعة سأل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنت بقيلة[١].

المبحث الثالث: التراث المعماري والعمراني في الحيرة

اهتم ملوك الحيرة بالعمران وبذلوا جهود كبيرة في تشييد القصور والمدن، ودون التاريخ هذه الجهود الجبارة، التي بذلوها هؤلاء الملوك، وتغنى الشعراء بخورنقها وسديرها. وتأثرت الحيرة بالحضارة الفارسية و كانت الحيرة على اتصال دائم مع الدولة الساسانية لأن الحيرة تقع تحت حكم الدولة الساسانية في فارس[٢]. ومن اشهر قصورها :

المطلب الأول: قصر الخورنق وأسطورة المعماري سنمار:

اتفقت الكثير من الروايات حول قصر الخورنق انه احد الانجازات العمرانية والحضارية الذي ارتبط اسمه بالحيرة، و هو قصر مشرف بناحية الحيرة على النجف وهو بالفارسية خرنقاه فأعربتها العرب فقالوا الخورنق[٣]. وذكر زين الدين الرازي ان الخورنق تعود تسميته الى اسم قصر في العراق بناه النعمان الاكبر وهو فارسي معرب[٤]. وعاش النعمان بن امرئ القيس ثمانين سنة، واستمر بنى الخورنق عشرين سنة، فلما عزم على بنائه ارسل إلى بلاد الروم فجيء برجل مشهور بعمل المصانع والحصون والقصور للملوك، يقال له سنمار، فقام سنمار بالبناء فيبني سنين ويغيب سنين حتى يثبت البناء البناء، فلما انتهى منه تعجب النعمان من جماله واتقان عمله، فقال له سنمار: عند ذلك تقربا إليه بالحذق وحسن المعرفة أبيت اللعن، والله إنى لأعرف فيه مكان حجر لو زال لزال جميع البنيان، فقال له: أوكذلك قال: نعم ، قال: لا جرم والله لأدعنه لا يعلم بمكانه أحد، ثم أمر به فرمى من أعلاه فتقطع[٥]. وسنمار: هو معماري مشهور في عصر ماقبل الاسلام، ارتبط اسمه بالخورنق الذي بناه لملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس بقرب الكوفة[٦]. فروى

١– أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، ١٩٨٨، فتوح البلدان، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ص: ٢٤١.

٢– الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ص: ١٤٢.

٣– أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، ١٩٨٢، ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس صالح، جدة: مؤسسة الإيمان، ١: ٤٦٧.

٤– زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ١٩٩٩، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: ٥، بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ص: ٩٠.

٥– ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة ابن الشجري، ١٩٩١، أمالي ابن الشجري، القاهرة: تحقيق: محمود محمد الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١: ١٥١–١٥٢.

٦– خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، ٢٠٠٢، الأعلام، ط: ١٥، (د.م): دار العلم للملايين، ٣: ١٤٢.

السهيل ان الخورنق قصر بناه النعمان الاكبر من اجل الملك سابور حتى يضع ولده فيه، وبناه رجل يقال له: سنمار في عشرين ، ولم ير بناء أعجب منه فخشي النعمان أن يبني لغيره مثله فألقاه من أعلاه فقتله[١]. والخورنق الذي ذكرته العرب فى أشعارها، وضربت به الأمثال فى أخبارها هو موضع بالكوفة قيل إنه نهر، والمعروف أنه القصر القائم إلى الآن بالكوفة بظاهر الحيرة قيل بناه النعمان بن المنذر، في ستين سنة، بناه له رجل يقال له سنمار، وكان يبنى فيه السنتين والثلاث، ثم يغيب الخمس سنين، وأكثر أو أقل ويطلب فلا يوجد، ثم يأتى فيحتج فلما فرغ من بنائه صعد النعمان على رأسه، ونظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه، فقال ما رأيت مثل هذا البناء قط. فقال سنمار: إنى أعلم موضع حجرة لو زالت لسقط القصر. فقال له النعمان: يعرفها أحد غيرك قال: لا. قال النعمان: لأدعنها لا يعرفها أحد، ثم أمر به فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع فضربت به العرب المثل وقالوا: جزاء سنمار وقيل الذي أمر ببنائه بهرام جور بن يزد جرد بن سابور، وكان بهرام جور أصابته فى صغره علة تشبه الاستسقاء، فبعث به إلى النعمان وبنى له الخورنق[٢]، وفي رواية اخرى ذكر ابن الكلبي ان بهرام جور بن يزدجر بن سابور ذي الاكتاف، امر ببناء الخورنق لان يزدجرد كان لايبقى له ولد و كان قد لحق ابنه بهرام جور في صغره علة تشبه الاستسقاء فبحث عن مكان صحيح من الادواء و الاسقام ليرسل اليه بهرام خوفاً عليه من العلة، فنصحوه اطباؤه ان يذهب به الى ارض العرب ويسقى ابوال الابل و البانها، فارسله الى النعمان ملك الحيرة وامره ان يبنى له قصراً مثّله على شكل بناء الخورنق، فبناه له واسكنه فيه وعالجه حتى شفي من مرضه، ثم طلب الإذن من اباه في البقاء عند النعمان فأذن له، فبقي عنده في قصر الخورنق حتى اصبح رجلاً ومات ابوه فكان من امره في طلب الملك حتى ظفر به كما ذكرنا سابقاً[٣]. وذكر ان النعمان قد غزا الشام مرات عديدة، وكان من الملوك الذين اشد بأساً، وفي احد الايام كان جالس في مجلسه في الخورنق، فأشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخيل والجنان والانهار مما يلي المغرب، وعلى الفرات مما يلي المشرق و الخورنق قبالة الفرات، يدور عليه على عاقول كالخندق فأعجبه مما رأى من الحضرة والنور و الانهار[٤].

وورد الخورنق في الكثير من القصائد و الابيات الشعرية فقال المنخل اليشكري:

وإذا شربت فإنني ... رب الخورنق والسدير

١– عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ٢٠١٣، البداية والنهاية، تحقيق: د. علي أبو زيد، ط: ٣، دار ابن كثير، ٢: ٤٦٧.

٢– عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي، صفي الدين، ١٩٩٢، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت: دار الجيل، ١: ٤٨٩–٤٩٠.

٣– شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١٩٩٥، معجم البلدان، ط: ٢، بيروت: دار صادر، ٢: ٤٠٢–٤٠٣.

٤– علي بن سليمان بن الفضل أبو المحاسن الأخفش الأصغر، ١٩٩٩، الاختيارين المفضليات والأصمعيات، تحقيق: فخر الدين قباوة، لبنان – بيروت: دار الفكر، ٧١٤؛ الحموي، معجم البلدان، ٢: ٤٠٢.

وإذا صحوت فإنني ... رب الشويهة والبعير[١]

وذكر عدي بن زيد العبادي الخورنق في شعره وهو من سكنة الحيرة فقال :

وتبين رب الخورنق إذ أش ... رف يوما، وللهدى تفكير

سره حاله وكثرة ما يم ... لك والبحر معرضا والسدير[٢].

وورد في شعر عدي ايضاً و يقول في الخورنق:

شاده مرمرا وجلله كلـ ... ـسا فللطير في ذراه وكور[٣].

وأنشد للأسود بن يعفر:

أرض الخورنق والسدير ودارم ... والبيت ذي الشرفات من سنداد

فالخورنق بناه سنمار بنيانا اعجميا لم ترى العرب مثله، وهو الذي رمي من أعلاه، حتى قالت العرب: جزاني جزاء سنمار، وذلك أنه لما تم بناء قصر الخورنق وعجب الناس من جماله، قال سنمار: أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس، حيث دارت، فقال له النعمان أإنك تستطيع أن تبني أجمل من هذا وغارت نفسه أن يبنى لغيره مثله وامر ان يلقى به من فوقه وكان بناه في عشرين سنة، فقال عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي في شعره:

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار، وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان عشرين حجة ... يعلى عليه بالقرامد والسكب

فلما انتهى البنيان يوما تمامه ... وآض كمثل الطود والباذخ الصعب

وظن سنمار به كل حبوة ... وفاز لديه بالمودة والقرب

رمى بسنمار على حاق رأسه ... وذاك لعمر والله من أقبح الخطب[٤].

١– أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري، ٢٠٠٨، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، (د.م): تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص ٧٧٦.

٢– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ٢٠٠٢، الشعر والشعراء، القاهرة: دار الحديث، ١: ٢٢٠.

٣– عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب، ١٩٨٩، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ط: ٢، الكويت: دار الآثار الإسلامية – وزارة الإعلام الصفاة، ٤: ٤١٣.

٤– عبد الرحمن السهيلي، ١٩٧٠، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مصر: دار الكتب الحديثة، ١: ٣٨٠.

وَفِي الخورنق والسدير يقول علي بن محمد الكوفي:

كَمْ وَقْفَةٍ لَكَ بِالْخَوَرْنَقِ مَا تَوَازَى بِالْمَوَاقِفْ

بَيْنَ الْغَدِيرِ إِلَى السَّدِيرِ إِلَى دِيَارَاتِ الْأَسَاقِفْ[١].

المطلب الثاني: قصر السدير والقصر الأبيض:

بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، وآخره راء، و تعددت الاراء حول السدير قيل هو نهر، ثم قيل انه قصر، وهو معرب وأصله بالفارسية سه دله، أي فيه قباب مداخلة مثل الجاري بكمين، وذكر ابن السكيت ان الأصمعي قال: السدير فارسي أصله سه دل، أي قبة فيها ثلاث قباب متداخلة، وهو الذي تسميه الناس اليوم سدلى فعربته العرب فقالوا سدير[٢]. و وذكر السهيلي ان معنى السدير بالفارسية بيت الملك يقولون له : "سهدلي" أي له ثلاث شعب[٣]. واما العمراني قال: ان السدير مكان معروف بالحيرة، وقال: السدير نهر، وقيل: انه قصر قريب من الخورنق اتخذه النعمان الاكبر لملوك العجم، وذكر ابو حاتم انه سمع ابا عبيدة يقول: هو السدلي أي له ثلاثة أبواب، وهو فارسي معرب، وسمي السدير لكثرة سواده وشجره، وروى الكلبي إنما سمي السدير لأن العرب حين أقبلوا ونظروا إلى سواد النخل سدرت فيه أعينهم بسواد النخل فقالوا: ما هذا إلا سدير، قال: والسدير أيضا أرض باليمن . وذُكر قصر السدير في ابيات شعرية كثيرة الى جانب قصر الخورنق فقال الشاعر الأسود بن يعفر :

أهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد.

وعندما سيطر المسلمون بقيادة خالد بن الوليد على الحيرة في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ذكره عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة:

أبعد المنذرين أرى سواما ... تروح بالخورنق والسدير[٤]

فمن خلال الروايات والشعر يتبين ارتباط قصر الخورنق بأسم قصر اخر وهو السدير وقد تم بنائه في البرية بعيداً عن الخورنق، وكان ذا قباب ثلاث ويتكون من إيوان ينتهي الى غرفة، وعلى جانبيه غرفتان، ذكر اهل الاخبار ان السدير اقدم من الخورنق. وكان يقيم فيه ملوك آل لخم.

١– عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحرب، ١٩٨٢، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة المكرمة: دار مكة، ص: ١١٧.

٢– الحموي، معجم البلدان، ٣: ٢٠١.

٣– السهيلي، الروض الأنف، ١: ٢٣٠.

٤– الحموي، معجم البلدان، ٣: ٢٠١.

وذكر أن "السدير" نهر بالحيرة ، قال عدي:

سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضًا، والسدير[١]

احد قصور الحيرة، ذكر انه كان في الرقة وقيل انه من ابنية الرشيد[٢]. ولكن اكثر الروايات تؤكد ان هذا القصر كان للملك النعمان وعرف هذا القصر بـ " القصر الابيض "، لشدة بياضه، ويظهر ان جدرانه كانت مجصصة، فظهرت بيضاء[٣]. اما عندما جاء المسلمون بقيادة خالد و نزل الخورنق والسدير و النجف، وحاصر قصور الحيرة، وارسل الى كل قصر احد من قادته، فحاصر ضرار بن الأزور القصر الأبيض، وفيه إياس بن قَبيصة الطائي[٤]. وان هذه القصور هي عدة الحيرة وملاجئها ايام الخطر والحروب، فاذا سقطت، تنهار الحيرة، وقد صالحوا "خالد بن الوليد" لما وجدوه أن ليس في استطاعتهم الصمود أمام المسلمين[٥].

المطلب الثالث: قصر الطين وقصر العدسيين:

بكسر الطاء، واخره نون، وهو احد قصور الحيرة الذي بناه يحيى بن خالد بباب الشماسيّة. يقع هذا القصر في طرف الحيرة في الكوفة[٦]. وذكر المؤرخون في بعض الروايات ان العدسيون من "كلب" نسبوا إلى أمهم وهي كلبية ايضاً . وانه مُلك لبني عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبي، الذين ينتسبون الى جدتهم "عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي"، وهي أم "الرماح" و"المشظ" ابني عامر المذمم[٧].

الخاتمة:

شهدت مملكة الحيرة تطوراً ملحوظاً، من خلال الانجازات الواقعية الموجودة خلال فترة حكم المناذرة، وهذه المملكة لم تكن مجرد امارة او دولة عسكرية خاضة للدولة الساسانية فقط، بل شكت تنظيماً حضارياً وعسكرياً وسياسياً تركت اثره في تاريخ العرب والجزيرة قبل الاسلام:

١- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥: ٣٠٢.

٢- الحموي، معجم البلدان، ٤: ٣٥٤.

٣- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٩: ٢١٣.

٤- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ٥: ٧٣.

٥- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٧: ٢٢٦.

٦- صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣: ١٠٩٩.

٧- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٧: ٢٢٦.

فعلى المستوى السياسي والعسكري اثبتت الدراسة ان مملكة الحيرة لها دور عسكري بارز، من خلال مشاركتها مع الدولة الساسانية في صد هجمات الغساسنة والامبراطورية البيزنطية، لانها جبهة واحدة، وكان للمناذرة والغساسنة دور كبير في حماية حدود الامبراطوريتين من القبائل العربية التي تتمركز في بلاد الشام والعراق. وتوجد ايضاً ميزة دفاعية، في موقعها العسكري، اذ نهر الفرات يشكل حاجز طبيعي امام هجمات الروم.

اما على المستوى الاقتصادي فقد تحولت مملكة الحيرة الى مركزاً مهماً للقوافل التجارية، فكانت الحيرة محط انظار الطامعين بسبب موقعها الجغرافي وكثرة خيرتها ومواردها، فتوجه الساسانيون الى هذا الموقع الاستراتيجي المهم، وعملوا وخططوا لوضع سلالات عربية تابعة لحكمهم، فأصبحت الحيرة بذلك امارة تابعة للدولة الساسانية.

اما دينياً فكانت مملكة الحيرة، على المذهب المسيحي النسطوري، على الرغم من خضوع المناذرة ودولتهم الى الدولة الساسانية، لكنهم لم يتأثروا دينياً بالدولة الساسانية.

اما في الجانب العمراني فقد شيدت الحيرة نمطاً معمارياً فريداً، من خلال تأثرها بالامبراطورية الساسانية والبيزنطية، الذي برز في بناء قصورها واهما قصري الخورنق والسدير، الذي تغنى بهما الشعراء، فهذه القصور لم يكن بنائها فقط ناتج عن الترف او البذخ بل كانت مواقع دفاعية، وذلك يُثبت من خلال فتح الحيرة على يد القائد خالد بن الوليد عندما حاصر قصورها.

وفي الختام ان مملكة الحيرة كانت انموذجاً حضارياً وعمرانياً وعسكرياً، لم يندثر تراثها الحضاري بعد سقوط ملوك المناذرة على يد الساسانين، بل بقيت بعض اثارها شاهدة الى الوقت الحاضر. وتظل الحيرة شاهداً على قدرة العرب عسكرياً وعمرانياً قبل الاسلام

أولاً: أهم النتائج:

١. أظهرت الدراسة أن الحيرة نشأت في بيئة حضارية متعددة الثقافات، وأن اختلاف الآراء حول أصل تسميتها يعكس تفاعلًا لغويًا وتاريخيًا بين المصادر العربية والسريانية، وهو ما يؤكد تعدد المؤثرات الحضارية في نشأتها.

٢. أثبتت الدراسة أن الموقع الجغرافي للحيرة كان العامل الرئيس في تحولها إلى مركز سياسي وتجاري مهم، كما أسهم في جعلها حلقة وصل بين شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس.

٣. بينت الدراسة أن المناذرة لم يكونوا مجرد حلفاء للساسانيين، بل أدوا دورًا سياسيًا وعسكريًا مؤثرًا في حماية الحدود الغربية للدولة الساسانية، وهو ما منحهم مكانة إقليمية بارزة.

٤. كشفت الدراسة أن الصراع بين المناذرة والغساسنة يمثل نموذجًا مبكرًا للصراعات الإقليمية المرتبطة بتوازنات القوى بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، ولم يكن مجرد نزاع قبلي.

٥. أوضحت الدراسة أن يوم ذي قار شكل نقطة تحول في التاريخ العربي قبل الإسلام، إذ عزز ثقة القبائل العربية بقدرتها على مواجهة القوى الكبرى، ومهد لتحولات سياسية لاحقة.

٦. أظهرت الدراسة أن القصور والمنشآت العمرانية في الحيرة أدت وظائف سياسية وإدارية ودفاعية، إلى جانب قيمتها المعمارية، مما يعكس تطور التنظيم الحضري في المملكة.

٧. خلصت الدراسة إلى أن فتح الحيرة لم يؤد إلى انقطاع دورها الحضاري، بل أسهم في انتقال خبراتها الإدارية والعمرانية إلى الدولة الإسلامية، واستمرار تأثيرها في نشأة الحواضر الإسلامية المبكرة.

ثانيًا: التوصيات:

بناءً على النتائج المتقدمة التي توصلت إليها هذه الدراسة، يوصي الباحث بالآتي:

١. إجراء دراسات أثرية وميدانية مقارنة: يوصى بضرورة القيام بأبحاث أثرية وميدانية موسعة تُعنى بتحليل البقايا المادية الشاخصة لقصور الحيرة، وفي مقدمتها "الخورنق" و"السدير"، ومقارنة المكتشفات الأثرية الحديثة بما تضمنته المدونات التاريخية الكلاسيكية والأشعار العربية القديمة لتوثيق الطراز المعماري بدقة.

٢. تتبع التسمية في الضوء المقارن للغات السامية: يوصى بفتح آفاق بحثية جديدة تعتمد على المنهج اللغوي المقارن لتتبع لفظ "الحيرة" ومشتقاته في النقوش والمدونات السريانية، واليهودية (التلمودية)، والنبطية، وعدم الاكتفاء بالروايات العربية المأثورة، لبيان التطور الأنثروبولوجي للمدينة قبل الإسلام.

٣. دراسة أثر معركة ذي قار في تشكيل تعزيز التضامن بين القبائل العربية: يوصى بإجراء أبحاث متخصصة ترصد الأثر الاستراتيجي والنفسي لـ "يوم ذي قار" على القبائل العربية، وكيف أسهم هذا الانتصار في كسر حاجز الخوف أمام القوى الأعجمية وتمهيد الأرضية السياسية والاجتماعية لقبول الدعوة الإسلامية والوحدة تحت رايتها.

٤. استقصاء الأثر الإداري والعمراني للحيرة في تمصير الكوفة: يوصى بدراسة حلقة الوصل الحضارية بين النظم الإدارية والمعمارية لمملكة الحيرة وبين حركة التمصير الإسلامي الأولى؛ وتتبع كيفية انتقال الخبرات الهندسية لقصور الحيرة وطرق تخطيطها عند بناء وتأسيس الحواضر الإسلامية الجديدة كمدينة الكوفة.

فهرست المصادر و المراجع:

١. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢. ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني العصفري. الطبقات، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. تاريخ ابن خلدون، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤. ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة. أمالي ابن الشجري، تحقيق: محمود محمد الطناحي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ/١٩٩١م.

٥. ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد. العقد الفريد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. البداية والنهاية، تحقيق: علي أبو زيد، ط: ٣، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٧. الأخفش الأصغر، علي بن سليمان بن الفضل أبو المحاسن. الاختيارين: المفضليات والأصمعيات، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٨. الأزهري (الباهلي)، أبو نصر أحمد بن حاتم. ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس صالح، جدة: مؤسسة الإيمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٩. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. فتوح البلدان، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م.

١٠. البلادي الحربي، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١١. البغدادي، عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: ٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٢. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣. برو، توفيق. تاريخ العرب القديم، ط: ٢، دار الفكر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤. الدينوري (ابن قتيبة)، أبو محمد عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٥. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: ٥، بيروت—صيدا: الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٦. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. الأعلام، ط: ١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

١٧. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مصر: دار الكتب الحديثة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٨. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دمشق: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ٢، القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٢٠. علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط: ٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢١. الفيومي، محمد إبراهيم. تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط: ٤، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢٢. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله. اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٣. المجذوب، عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد. المرشد إلى فهم أشعار العرب، ط: ٢، الكويت: دار الآثار الإسلامية، وزارة الإعلام، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٤. مهران، محمد بيومي. دراسات في تاريخ العرب القديم، ط: ٢، دار المعرفة الجامعية.

٢٥. الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم البلدان، ط: ٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

٢٦. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. البلدان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٧. Daryaee, Touraj, Sasanian Persia: The Rise and Fall of an Empire, ١st ed., London: I.B. Tauris, ٢٠٠٩.

٢٨. Fisher, Greg (ed.), Arabs and Empires before Islam, ١st ed., Oxford: Oxford University Press, ٢٠١٥.

٢٩. Fisher, Greg & Wood, Philip, "Writing the History of the 'Persian Arabs': The Pre-Islamic Perspective on the Naṣrids of al-Ḥīrah", Iranian Studies, Vol. ٤٩, No. ٢, ٢٠١٦, pp. ٢٤٧–٢٩٠.

٣٠. Hoyland, Robert G., Arabia and the Arabs: From the Bronze Age to the Coming of Islam, ١st ed., London: Routledge, ٢٠٠١.

٣١. Shahîd, Irfan, Byzantium and the Arabs in the Fifth Century, ١st ed., Washington, D.C.: Dumbarton Oaks Research Library and Collection, ١٩٨٩.

٣٢. Temir, Hakan, Arap Yarımadasında Kabile Hayatı, İstanbul: Siyer Yayınları, ٢٠٢٠.